المحاضرة2: النظم الإسلامية ودراسة الفكر السياسي الإسلامي

أولا: مفهوم الفكر السياسي:

كلمة فكر تعني إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها وتطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية.

أمّا كلمة سياسة فهي مشتقة من ساس يسوس وتعني تدبير شؤون النّاس وتملك أمورهم والرئاسة عليهم ونفاذ الأمر فيهم وتُستخدم للدلالة على معاني القيادة والرئاسة والمعاملة والحكم والتأثير والتربية والترويض.

ثانيا/ مفهوم الفكر السياسي الإسلامي:

" **هو حصيلة التفكير الواعي والعقلاني للمسلمين في مسألتي السلطة السياسية(الشرعية) والمؤسسة السياسية(الدولة)، وتمثل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11هـ البداية لهذا التفكير، وقبل هذا التاريخ كان التفكير في السلطة والدولة منوطا بالوحي ومرتبطا به ومجسدا في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته الاستثنائية**".

وعليه فالفكر السياسي الإسلامي هو ذلك:" **النشاط العقلي الذي يضم الآراء والمبادئ والأفكار التي أنتجها المسلمون منذ أن نشأ لهم مجتمع سياسي وتكونت للإسلام دولة بعهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحالي، ومن مبادئ الفكر السياسي الإسلامي: العدل– الحرية– المساواة – الشورى**".

ثالثا/ كتابات المسلمين في الفكر السياسي:

تُسمى بكتب السياسة الشرعية وأيضا بكتب الآداب السلطانية وهي"**علم يبحث عن الأحكام والنظم التي تُدار بها شؤون الأمة بما يُحقق مصلحتها ويكون متفقا مع أحكام الشريعة وقواعدها العامّة**"، ومن أشهر المفكرين المسلمين في الكتابة السياسية نجد:

- **أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري(ت182هـ): كتاب الخراج**، والكتاب في أصله رسالة كتبها أبو يوسف إلى الخليفة هارون الرشيد بطلب منه، لذلك بدأه المؤلف بنصيحة شاملة للخليفة في شؤون السياسة وغيرها.
- **الفقيه يحي بن آدم القرشي(ت203هـ): كتاب الخراج**، تناول فيه موارد الدولة المالية ومعاملة أهل الذمة، وخصص الباب الرابع من الكتاب لموضوع الزكاة.
- **ابن قتيبة الدينوري(ت276هـ): كتاب الإمامة والسياسة**، والكتاب يؤرخ للخلافة.
- **القاضي الشافعي"أبو الحسن علي الماوردي(ت450هـ): كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ويبحث الكتاب موضوع الإمامة وأحكامها وشروطها؛ ثمّ مؤسسات الدولة الإدارية من وزارة –إمارة– وولاية القضاء– وولاية المظالم؛ ثمّ عرض في نهاية الكتاب لشؤون الدولة الاقتصادية فيما يتعلق بأحكام الفيء والغنيمة والجزية والخراج وأحكام الحسبة، وقد ألفه الماوردي بعد عام 435هـ.

ومن أشهر كتب السياسة الشرعية أيضا:

-كتاب"**التبر المسبوك في نصيحة الملوك**" لأبي حامد الغزالي، ت505هـ، ويُعد مصدر الفكر الفلسفي السياسي الإسلامي، وجاءت موضوعات الكتاب في صورة مواعظ وآداب أخلاقية.

-كتاب" **سراج الملوك**" للطرطوشي،ت520هـ.

-كتاب"**الشفا في مواعظ الملوك والخلفا**" لابن الجوزي، ت597هـ.

-كتاب"**السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**" لشيخ الإسلام ابن تيمية،ت728هـ، ووضع تلميذه"ابن القيم الجوزية،ت751هـ كتاب أسماه" **الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية**"، عالج من خلاله موضوعا خاصا بالبيانات والقرائن في الدعاوى وطرق الإثبات، ولابن القيم كذلك كتاب سماه:" أحكام أهل الذمة".

-كتاب" **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**" للشيرازي،ت774هـ.

-كتاب"**مآثر الإنافة في معالم الخلافة**" للقلقشندي ،ت821هـ ذكر فيه تطور نظام الخلافة في التاريخ الإسلامي ووظيفة الكتابة ومتطلباتها.

-كتاب"**بدائع السلك في طبائع الملك**" لابن الأزرق،ت896هـ وهو كتاب يبحث في نظام الملك وموجباته وأركانه وقواعده وواجبات الملك.

رابعا: تأسيس السلطة السياسية عند المسلمين

إنّ أول ظهور للسلطة السياسية في الإسلام كان بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة واستقراره بها، حيث مارس النبي صلى الله عليه وسلم وظائف الإمامة والقيادة والسياسة إلى جانب وظيفة النبوّة والبلاغ.

وتعتبر وثيقة الصحيفة أو دستور المدينة بمثابة ميلاد الدولة الإسلامية لأنها حملت بين طياتها انشغالات دولة المدينة، وكان الهدف من الهجرة هو نشر الإسلام وإنشاء دولة سياسية مدنية فوق سلطة القبيلة متخطية للكثير من أعرافها السياسية، تقوم العلاقات داخلها على سلم الحق والعدل والأمن وقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التشكيل السياسي الجديد لفظ" الأمة".

ففي مستهل وثيقة الصحيفة كتب صلى الله عليه وسلم" **بسم الله الرحمان الرحيم، هذا كتاب محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمّة واحدة من دون النّاس**".

كما شكلت السلطة السياسية التي مارسها الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الحكام الأساس الموضوعي للفكر السياسي الإسلامي الذي أخذ يتطور وينمو إلى أن أخذ شكله النهائي في عصر التدوين ليتحول من ثقافة شفهية إلى مكتوبة استفاد منها المسلمون بدءا من النصف 2 من القرن2هـ.